عبــد الله الحيــدري

قارئــاً للشــعر

د. عبد الرحمن بن إبراهيم العتل

أستاذ جامعي متقاعد وشاعر

مقدمة:

لا يمر اسم الدكتور عبدالله الحيدري إلا وتحضر السيرة الذاتية إلى ذهن القارئ كونه أول من سجل رسالة علمية عن السيرة الذاتية في الأدب السعودي ودرس خلالها السير الذاتية الصادرة منذ البدء حتى وقت دراسته العلمية، وقد أصبح الدكتور عبدالله مرجعا مهما لكل دارس للسيرة في المملكة العربية السعودية.

لكن ربما الذي قد لا يعرفه الكثيرون عن الدكتور عبدالله أن له اهتماما كبيرا بالشعر حيث كتب عدة بحوث تتناول الشعر وموضوعاته وبخاصة ما طرأ من مستجدات في العصر الحاضر.

والقارئ لكتابه "في حقول الشعر: دراسات في الشعر السعودي المعاصر"، الصادر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة عام ٢٠٢٢م، وهو موضوع بحثنا هذا يلحظ تميز الدكتور عبدالله الحيدري في اختيار الموضوعات ودراستها وبيان ما تتميز به تاريخيا وفنياً.

وسأعرض في هذه الورقة القصيرة ما لفت نظري في دراساته تلك في كتابه السابق ذكره.

العناوين:

حرص الدكتور عبدالله الحيدري على حداثة الموضوع المدروس وجدته، وتنبه لبعض المستجدات التي طرأت في العصر الحديث ولم تكن معروفة في الشعر سابقا إلا قليلا، ولاحظ عناية الشعراء السعوديين بهذه الموضوعات أو الأغراض الشعرية الجديدة فتتبعها ودرسها وبيّن أسبقية بعض الشعراء في هذا الجانب، **ومن هذه الموضوعات:**

١- صورة المعوق في الشعر السعودي.

٢- الشعر في مواجهة الإرهاب: دراسة لنماذج من الشعر السعودي ١٤٢٤/ ١٤٣٤هـ".

٣- المخترعات الحديثة في الشعر السعودي.

٤- صدى التقنيات الحديثة في الشعر السعودي.

المنهج:

يجمع الدكتور عبدالله الحيدري في دراساته هذه بين منهجين اثنين هما:

المنهج التاريخي والمنهج الفني من أجل أن يبين للقارئ ما في هذه النصوص الشعرية المدروسة من جمال فني ومن أسبقية تاريخية يمايز فيها بين الشعراء الذين تناولوا تلك الموضوعات في شعرهم وكان لهم أثر في مجتمعاتهم.

- المنهج التاريخي:

هو أول المناهج وأقدمها وقد عرف بأنه: "المنهج الذي يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لفهم الأدب ودرسه وتحليل ظواهره المختلفة"(١)، وهو كما نعرف يقوم على دراسة النصوص وعلاقتها بمحيطها والظروف التي كانت سبباً في ظهورها، وتتبع ما ذكره الدارسون حولها للوصول للمعارف والنتائج والأثر الذي تركته في سياقاتها المختلفة.

وسأبين ذلك من خلال الموضوعات التي درسها:

- صورة المعوق في الشعر السعودي:

---

(١)وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٢٣. وانظر:

- محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص١٧.

- صالح هويدي: المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٥م، ص ٧٧.

نلحظ تتبع الدكتور عبدالله تاريخيا هذا الموضوع أو الظاهرة في الأدب العربي ونشأته مشيرا إلى المؤلفين الذين عُرفوا بإعاقة كالجاحظ والصفدي وبشار وغيرهم والمؤلفات التي تحدثت عن المعوقين وطرائفهم قديما كأبي حيان التوحيدي كما يشير للدراسات العلمية التي درست المعوقين كشعر المكفوفين في الشعر العباسي لعدنان العلي والصورة البصرية في شعر العميان لعبدالله الفيفي، مبينا كذلك العلاقة بين النبوغ والإعاقة واهتمام الإسلام بهذه الفئة[٢].

- الشعر في مواجهة الإرهاب:

لم يكتف الدكتور عبدالله الحيدري بالحديث عن الشعر والإرهاب فحسب بل بحث عمن كتب عنه شعرا ونثرا مبينا السبب الذي جعله يختاره موضوعا لبحثه مشيرا إلى الدراسات العلمية التي تناولت الإرهاب كرسالة الإرهاب في الرواية السعودية ورسالة الشعر السعودي في مواجهة الإرهاب شعراء عسير نموذجاً وغيرهما من الكتب التي تناولت هذه الظاهرة المزعجة للمجتمعات كلها(٣).

- المخترعات الحديثة في الشعر السعودي:

يتحدث الحيدري عن هذه المخترعات وأثرها في المجتمع العربي حين اتصل الغرب بالشرق فجاءت هذه المخترعات ولفتت نظر الشعراء والأدباء كالطباعة والكهرباء والقطار والطائرة والهاتف وغيرها من المخترعات وأثارت دهشتهم فتفاعلوا معها وكتبوا عنها كوصف محمود سامي البارودي للقطار وأحمد شوقي للغوّاصة وعلي الجارم في الإذاعة ومعروف الرصافي في التلغراف وغيرهم من الشعراء في الوطن العربي مشيراً للدراسات التي تناولت ذلك في الشعر السعودي كدراسة الدكتور

---

(٢) **في حقول الشعر: دراسات في الشعر السعودي المعاصر**، الطبعة الأولى، نادي جدة الأدبي الثقافي، ٢٠٢٢م، ص ١٦ وما بعدها.

(٣) **في حقول الشعر: دراسات في الشعر السعودي المعاصر**، ص٥٦.

حسن النعمي "الشعر في منطقة جازان" وفيها استشهاد بالشعر الذي وصف المخترعات(٤).

- صدى التقنيات الحديثة في الشعر السعودي:

يمهد الحيدري بحثه هذا تاريخيا بالحديث عن دخول الإنترنت والجوال وظهور وسائل التواصل الاجتماعي " كالفيس بك، والسناب شات والتليقرام، وتويتر، والواتسب، واليوتيوب" وارتباط الناس بها لأغراض مختلفة وأثرها الكبير في الشعر.

ولا ينسى كعادته الإشارة إلى الدراسات التي تناولت هذه التقنيات الحديثة ككتاب الدكتور عبدالرحمن المحسني "خطاب sms الإبداعي دراسة في تشكلات البنية"، وكتاب "الأشكال الأدبية الوجيزة في فضاء تويتر" للدكتورة نوال السويلم وغيرها من الدراسات والبحوث واللقاءات(٥).

- المنهج الفني:

ويعد "الذوق مهم جدا في الاتجاه الفني في النقد"(٦)؛ ولذا فالناقد يدرس الأثر الذي يحدثه النص فيه معتمدا على ذائقته مستنداً على قواعد فنية علمية تسندها ثقافة متنوعة من أجل الحكم على النص وقد توقف الدكتور الحيدري عند هذه النصوص ودرس ما فيها من جمال وسنرى هذا فيما سيأتي:

- في حديثه عن " صورة المعوق في الشعر السعودي"

---

(٤) **في حقول الشعر: دراسات في الشعر السعودي المعاصر**، ص٩٤.

(٥) **في حقول الشعر: دراسات في الشعر السعودي المعاصر**، ص١٥٢.

(٦) محمد الشنطي: في النقد الأدبي الحديث مدارسه ومناهجه وقضاياه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٩٦.

يدرس الحيدري هذا الموضوع من حيث المضمون أولاً مشيراً إلى محورين هما:

١– **حديث الشعراء المعوقين** عن الإعاقة وكيف تحدثوا عنها في شعرهم ويستحضر قصيدة ابن حسين يرحمه الله التي عبر فيها عما يعانيه من العمى وسلواه فيما يكتبه عنه مبينا ما في النص من تفاؤل وأمل وفائدة كقوله:

صحبت العمى دهراً فكيف أمله وكيف أريد اليوم غير رفيقي؟

وكذلك قصيدة الشاعر محمد عبدالقادر فقيه وحديثه عن إعاقته السمعية وأثرها على نفسه موضحا ما تحمله من معان تصور مأساة الشاعر وأثرها على نفسه:

شجيٌ ومحزون ولا يتكلمُ لك الله من باك على الصمت يرغمُ

٢– أما حديث الأسوياء عن المعوقين:

فهو يتتبع النصوص من الأقدم إلى الأحدث التي شارك بها الشعراء إخوانهم المعوقين ويحلل مضامينها وأفكارها مبيناً ما تتميز به من جدة وبيان هدف هؤلاء الشعراء في الثناء على المعوقين وإبداعهم وأنهم ليسوا عالة على المجتمع مستشهدا بعدد من القصائد كقصيدة عبدالله الرشيد "ما أنت أعمى"، وقصيدة حمزة الشريف "آمال معاق"، وغيرها من القصائد.

ولا ينسى الدكتور عبدالله الحيدري تناول الشكل الفني لهذه القصائد التي تحدثت عن المعوقين بدءا من العناوين التي وجدها بسيطة مباشرة من كلمة أو كلمتين وتخلو من الإيحاء والجدة.

وجاءت مقدمات أغلب القصائد مرتبطة بالموضوع كاشفة للفكرة باستثناء بعضها التي بدأت بمقدمة قبل الدخول في الموضوع.

أما خواتيم القصائد فقد أشار د. الحيدري أنها إما تكثيف للفكرة أو تختم بالدعاء والشكر.

وتتميز هذه القصائد بالوحدة الموضوعية وتخلص لها بالحديث عن المعوق والإعاقة، ويلجأ الشعراء للتكرار لتأكيد الفكرة وتكثيفها.كما يرصد الباحث البحور التي استخدمها الشعراء وهي بحور مطروقة كالبسيط والطويل والخفيف والوافر.

٣- أما حديثه عن "الشعر في مواجهة الإرهاب":

فهو يلحظ أن الشعراء في غالب نصوصهم يبدؤونها بالحديث عن الوطن وتلاحمه مع قادته ثم بعدها يلجون إلى موضوع القصيدة وهو الإرهاب والتنديد به بعاطفة مشبوبة محبة للوطن مدافعة عنه مبينين أن الإرهاب فكرة دخيلة على المجتمع.

ويستشهد الحيدري بنماذج شعرية متنوعة تبين ما تحمله من أفكار مثل: حب الوطن والتضحية من أجله والتلاحم بين المواطنين وقادتهم وبيان نفسية الإرهابيين وما تحمله من جهل والثناء على رجال الأمن كقول الشاعر يوسف الدوس:

لا تيأسوا يا رجال الأمن دربكم درب طويل فكونوا اليوم أعوانا
لا تيأسوا يا رجال الأمن عزمكمُ حتما سيقطع للباغين أغصانا

ويدعو بعض الشعراء الشباب للعودة للحق والتوبة مما ولغ فيه من الخطأ كقول الشاعر محمد الخليف:

عودوا إلى الرحمن إن العـ ـود أحمد بابتهـالِ
عودوا إلى وسط المدى فالخير فيه بلا جدال

وهكذا يتناول الدكتور الحيدري مضامين هذه النصوص ويبينها للقارئ وما تميز به شاعر عن آخر في حديثه عن الإرهاب.

ثم يتحدث الحيدري عن الشكل الفني لهذه القصائد بادئا من العناوين التي جاءت مباشرة بكلمة أو كلمتين وربما جاءت في جملة طويلة مثل: "الفئة الضالة"

لعبدالرحمن العبيّد و"حدائق الأمن" لعيسى جرابا "وهي الأعمار ترصدها المنايا" لمحمد المسيطير و"قبلة على جبين الوطن" لمحمد العطوي.

أما الألفاظ والتراكيب فيراها تتمير بخصوصيتها وارتباطها بموضوع القصيدة فكانت كلمة الإرهاب حاضرة من عنوان النصوص إلى نسيجها الداخلي وما يتفرع منها كالتفجير والعنف والتكفير كما يلحظ بروز الكلمات ذات الشحنات العاطفية كالثكالى والأرامل واليتامى والمآسي والضحايا وغيرها.

ومن الخصائص الأسلوبية التي بينها الباحث في النصوص هي ظاهرة التكرار لتأكيد الفكرة أو الإقناع للإرهابي بخطئه أو رصد انفعالات الشاعر للحدث الكبير المؤلم.

كما تشيع أدوات الاستفهام والنداء ومرده كما يقول – الحيدري – إلى حيرة العقول مما حدث من جرم شنيع.

واعتمدت الصورة الشعرية على الاستعارة والحوار والدراما.

٤- حديثه عن " المخترعات الحديثة في الشعر السعودي:

وتتمحور معاني القصائد حول الدهشة والإعجاب بالمخترع ووصفه وبيان أهميته والدعوة للعلم والمعرفة، والثاني وصف حدث أو موقف أو ذكرى للشاعر مع هذا المخترع أو ما يسميه الباحث " الألفة" والثالث وصف بعض الأحداث الأليمة التي وقعت مع هذا المخترع كحوادث الطائرات والسيارات ويسميه الحيدري " الحذر أو المخاطر".

ولا ينسى الدكتور عبدالله الحيدري في حديثه عن هذه المعاني الاستشهاد بالنصوص لبيان فكرته التي يتحدث عنها مثل:

عدت تطوي المفاوز والهضابا وتمعن في لوى البيد انسيابا

لعبيد مدني في وصف السيارة.

ولأحمد الغزاوي قصيدة في الإذاعة منها:

حي الإذاعة في الجهاز الأوسعِ واستقبل الدنيا به في مسمع

وغيرها من النصوص التي تناولت هذه المخترعات الحديثة الطارئة على المجتمع.

ومن حيث الشكل يلحظ الحيدري أن عناوين هذه القصائد جاءت مباشرة تقريرية لا إبداع فيها بسبب مقصدية الشاعر ورغبته في أن تحمل القصيدة اسم المخترع مثل: "تحية الإذاعة" لأحمد غزاوي و"في القطار" لضياء الدين رجب و"صدى الهاتف" لأحمد بيهان.

وفي مطالع هذه النصوص يقول الحيدري حرص – الشعراء – على التصريح لتأثيره في القارئ ولفت انتباهه وبعضهم تركه.

ويميز هذه القصائد لغتها الصحيحة وغلبة التراكيب التراثية مع ظهور ألفاظ مستحدثة جديدة ارتبطت بالمخترعات وقد يستخدم بعض الشعراء الألفاظ الأجنبية أو العامية.

وفي أساليب الشعراء كما يرى الباحث بروز فعل الأمر وأدوات الاستفهام والنداء لبيان حالة الإعجاب بهذه المخترعات.

ويقف الباحث عند ظاهرة التكرار التي تبدو في بعض القصائد ومردها كما يقول: إلى التأكيد والرغبة في بيان ما يتحدث عنه.

ويرى اعتماد الشعراء على التشبيه في صورهم وشيوع التشخيص وإلباس المخترعات الصفات الإنسانية.

وينتهي الدكتور الحيدري إلى بيان الظواهر التي تميز بها شعر المخترعات مثل: استخدام الشعراء للألفاظ المعربة التي أقرتها المجامع العربية، والحديث عن لوازم هذه المخترعات كالصوت والبرق والشاشة والموجات، وكشفها عن ثقافة

الشعراء في قراءتهم حول هذه المخترعات، كما تبين هذه النصوص التطور الحضاري الذي عاشه المجتمع والتغييرات الجديدة فيه، وأبرز ملحظ وجده الباحث هو غياب المرأة الشاعرة عن وصف المخترعات ويرده إلى قلة ارتباطهن بها.

٥-حديثه عن صدى التقنيات الحديثة في الشعر السعودي:

ويقف الباحث عند اتجاهين في دراسته لهذه النصوص:

١- الحضور غير المقصود: من خلال ورود بعض الكلمات التي تشير للتغريد لدى الشعراء في عناوين قصائدهم رغم أن تويتر (x) لم يظهر بعد مثل: قصيدة "تغريدة" لطاهر زمخشري وقصيدة " تغريدة" لفاروق بنجر و" وتغريد العيد" لسعد الرفاعي و"مغرد رغم الجراح" لنجاة الماجد.

على أن المعاني هنا قصدوا بها الكتابة الجميلة والبوح بما في النفس.

٢- الحضور المقصود: وذلك بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة موضحا تفاعل الشعراء السعوديين معها سلباً وإيجاباً من خلال المعاني التي تناولوها في شعرهم.

ويرى الدكتور عبدالله الحيدري تأثر الشعراء السعوديين بهذه المواقع المختلفة بدءا من:

- عنونة بعض الشعراء دواوينهم بما يشير لقصدهم لموقع تويتر كحامد الشريف في ديوانه

" تغريدات شعرية"، وعبدالمحسن الحقيل في ديوانه " سيدة الماسنجر".

أو تسمية القصائد به مثل " من وحي تويتر" لدلال المالكي، ومثله " في الفيسبوك " لسعد الغريبي.

- ورود المصطلحات الخاصة بها فيركز الحيدري على اللغة في دراسته هنا حيث يرى أن هذه المواقع أثرت في لغة الشعراء السعوديين تأثيرا جلياً من

خلال ورود المصطلحات المعروفة لها في لغتهم مثل "النكز" في الفيسبوك و "الماسنجر" و"الشات" و"التسنيب" في تطبيق السناب و"الواتسب" مستشهداً بأبيات متعددة مثل:

قول محمد الجلواح:

نكزتكِ فاستقبلي نكزتي وردي بحرف على غمزتي

وقول عبدالمحسن الحقيل:

كانت تهمس وتكلمني في الماسنجر

وقول محمد الغامدي:

في الشات لا لغة تحدد صيغة الماضي

ويلحظ أن الشعراء في أفكارهم انقسموا بين قابل لهذه التقنية ومحذر منها لكنه يحمد لهم أنهم أرخوا لوجودها في المجتمع السعودي وبداياتها وتأثيرها عليه.

وفي الختام يتبين للباحث أهمية ما قدمه الدكتور عبدالله الحيدري في قراءته للشعر السعودي واهتمامه به وتميزه في تناول هذه الظواهر الجديدة ومزجه في دراسته بين منهجين هما المنهج التاريخي والمنهج الفني الذي يبين علو ذائقته وثقافته في دراسة النصوص الشعرية.